

تيسير الحصول

بتلخيص

حصول الناموس

بشرح

ثلاثة الأصول

إعداد

حسن الجائري

Nyantrend Weekend (2)



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن رسالة "ثلاثة الأصول وأدلتها" للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رسالة موجزة جامعة في موضوع توحيد الربوبية والألوهية والولاء والبراء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بعلم التوحيد، الذي هو من أشرف العلوم وأجلها قدراً، كتبها الشيخ رحمه الله مقرونة بالدليل بأسلوب سهل ميسر لكل قارئ، فجاءت هذه الرسالة خلاصة وافية لمباحث مهمة لا يستغني عنها المسلم ليبني دينه على أسس

سليمة وقواعد صحيحة؛ ليجني ثمرات ذلك سعادة في الدنيا وفلاحاً في الدار الآخرة.

لذا رأى الشيخ عبد الله بن فوزان الفوزان أن يكتب عليها شرحاً متوسطاً في تفسير آياتها وشرح أحاديثها وتوضيح مسائلها إسهاماً في تسهيل الاستفادة منها، والتشجيع على حفظها وفهمها بعد أن قام بشرحها للطلبة في المسجد بحمد لله تعالى، وسماه: "حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول".^١

وإني رأيت جودة هذا الشرح وشموله وعزمت أن ألخصه تقريباً وتسهيلاً للطلاب المتحمسين في الطلب المتعلمين في مدرستنا Nyantrend Weekend للفصل الدراسي الثاني. وبعد أن استعنت بالله، توكلت عليه بتلخيص هذا الشرح، وما هو إلا تلخيصٌ مقصّرٌ.

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ونافعاً لعباده إنه جواد كريم.

الفقير إلى مغفرة ربه، أخوكم حسن الجائزي

٩ ربيع الأخير ١٤٣٥ هـ، الموافق ٩ فبراير ٢٠١٤ م.

^١ مقدمة الشيخ -حفظه الله- بتصرف.

المسائل الاربع

١ - العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله، أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: "الأولى"
العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام
بالأدلة

قد ورد في "صحيح البخاري" في كتاب بدء الوحي: "بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ..."^٢

أما الأحاديث القولية في مسألة البسملة، كحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ
فيه ببسم الله فهو أبتّر" فهي أحاديث ضعفها العلماء.^٣

^٢ "صحيح البخاري": "رقم ٧"، "صحيح مسلم": "رقم ١٧٧٣"، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
^٣ هذا الحديث أخرجه الخطيب في "الجامع": "٦٩/٢"، والسيوطي في "طبقات الشافعية الكبرى" المقدمة: "ص ١٢"،
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث ضعيف جداً؛ لأنه من رواية أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن

وقوله: "الرحمن" هذا اسم من أسماء الله الخاصة به، ومعناه ذو الرحمة الواسعة.

وقوله: "الرحيم" هذا اسم من أسماء الله ومعناه موصل رحمته إلى من يشاء من عباده.

قوله: "اعلم رحمك الله"، هذا دعاء من المصنف رحمه الله لك أيها القارئ يدل على محبته لك وشفقته عليك وأنه راغب في حصول الخير لك.

قوله: "يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأولى: "العلم"، المراد هنا: الوجوب العيني، وهو ما يجب أدائه على كل مكلف بعينه.

والتعلم: تحصيل العلم، والعلم: معرفة الهدى بدليله.

والمراد بالعلم هنا: العلم الشرعي، والمقصود به ما كان تعلمه فرض عين، فهو واجب عليه العلم به. أما العلم الذي تعلمه فرض كفاية، فإذا وجد من يقوم به من أهل العلم صار في حق الباقيين سنة.

ومما يدل على أن العلم واجب حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".^٤

وقد فسر الشيخ رحمه الله العلم الذي لا بد من تعلمه بأنه يتناول ثلاثة أمور، فقال: "وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة". وخص الشيخ رحمه الله هذه الأمور؛ لأنها هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا عليها، وهي التي يسأل عنها العبد في قبره.

الجندي، قال الخطيب في "تاريخه" ٧٧/٥: "كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه"، أي: في التشيع. وقال ابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة" ٣٣/١: "شيوعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع" اهـ.
والحديث ضعفه الحافظ ابن حجر رحمه الله على ما نقله في "الفتوحات الربانية": ٢٠٩/٣.
^٤ أخرجه من أصحاب الكتب الستة ابن ماجه: ٨١/١، وأخرجه أبو يعلى في "مسنده": رقم ٢٨٣٧، والطبراني في "الأوسط": ٣٣/١، وغيرهم كثيرون. وقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث، فمنهم من صححه ومنهم من ضعفه

وقوله: "معرفة الله"، أي: لا يكون الإنسان على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله تعالى، وذلك بالنظر في الآيات الشرعية من الكتاب والسنة، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، وهذه المعرفة تستلزم قبول ما شرعه الله تعالى والانقياد له.

وقول: "ومعرفة نبيه"، أي: أن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم فرض على كل مكلف، وأحد مهمات الدين؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله تعالى. وهذه المعرفة تستلزم قبول ما جاء به من عند الله تعالى من الهدى ودين الحق.

وقوله: "ومعرفة الإسلام بالأدلة"، الإسلام له معنيان: معنى عام ومعنى خاص.

فالإسلام بالمعنى العام يراد به: عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا دين الأنبياء عموماً، قال الله -عز وجل- عن التوراة وأنبياء بني إسرائيل: {يَحْكُمُ بِهِمُ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا}، وذكر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}، وعن أبناء يعقوب عليه السلام: {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فيراد به: الدين الذي بعث الله نبيه محمداً به وجعله خاتمة الأديان لا يقبل من أحد دين سواه، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وقال تعالى:

^{٤٤} سورة المائدة، الآية: ٤٤.

^٦ سورة يونس، الآية: ٨٤.

^٧ سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

^٨ سورة آل عمران الآية: ٨٥.

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ^٩.

وقوله: "بالأدلة" جمع دليل. الدليل هو المرشد إلى المطلوب. وهو إما سمعي وإما عقلي.

٢ - العمل بالعلم

الثانية العمل به.

قوله: "الثانية: العمل به"، أي: العمل بالعلم؛ لأن العلم لا يطلب إلا للعمل، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه فإذا عمل به صار عالماً"، وقال بعض أهل العلم: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"، ومن لم يعمل بما علم أوشك الله أن يسلبه ما علم".

وقد ورد في حديث أبي برزة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، ومنها: وعن علمه ماذا عمل فيه".^{١٠}

وقد ثبت في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "والقرآن حجة لك أو عليك".^{١١}

^٩سورة المائدة، الآية: ٣.
^{١٠}أخرجه الترمذي: "١٠١/٧-تحفة"، وقال: حديث صحيح. وانظر "الصحيحة" للألباني: "رقم ٩٤٦"، "واقتضاء العلم والعمل" للخطيب البغدادي: "ص ١٦، وما بعدها"، و"صحيح الترغيب والترهيب": "١٢٥/١".
^{١١}أخرجه مسلم: "١٠١/٣" من حديث طويل.

٣ – الدعوة إلى توحيد الله وطاعته

"الثالثة" الدعوة إليه.

قول المصنف رحمه الله: "الثالثة: الدعوة إليه"، أي: الدعوة إلى توحيد الله وطاعته، وهذه وظيفة الرسل وأتباعهم، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}^{١٢}.

٤ – الصبر على الأذى في الدعوة

"الرابعة" الصبر على الأذى فيه.

قوله: "الرابعة: الصبر على الأذى فيه"، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا}^{١٣}.

وقال تعالى عن لقمان الحكيم في وصيته لابنه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}^{١٤}.

^{١٢} سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

^{١٣} سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

^{١٤} سورة لقمان، الآية: ١٧.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَالْعَصْرِ إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} ^{١٥}. قال الشافعي رحمه
الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} ^{١٦} فبدأ بالعلم قبل القول والعمل".

فالمسألة الأولى والثانية في قوله سبحانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ} ، فإن الإيمان لا يكون صحيحاً، والعمل لا يكون صالحاً إلا
بعلم بأن يعبد الله على بصيرة. والمسألة الثالثة في قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}
والرابعة في قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} .

وقوله تعالى: {وَالْعَصْرِ} هذا قسم، والعصر المراد به: الزمن الذي تقع فيه
الأحداث من خير أو شر. وقيل: {وَالْعَصْرِ} ما بعد العشي وهو آخر النهار.

وجواب القسم قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، والخسر: هو النقصان
والهلكة.

والمقصود أن الإنسان في خسر مهما كثر ماله وولده، وعظم قدره وشرفه إلا
من اتصف بالصفات الأربع.

^{١٥} سورة العصر، الآيات: ١-٣.
^{١٦} سورة محمد، الآية: ١٩.

قَوْلُهُ تَعَالَى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}^{١٧} فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يشمل الأمة، وهذا هو العلم، {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} هذا هو العمل.

^{١٧} سورة محمد، الآية: ١٩.

المسائل الثلاث

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ هَذِهِ
المسائل الثلاث والعمل بهن:

١ - توحيد الربوبية وأدلتها

الأولى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا
رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ
كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا} .

قوله: "أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الثَّلَاثَ وَالْعَمَلُ
بِهِنَّ"، هذه المسائل الثلاث مجملها: الأولى في توحيد الربوبية، والثانية في
توحيد الألوهية، والثالثة في الولاء والبراء.

ف "الأولى" التي هي توحيد الربوبية "أن الله خلقنا وورزقنا ولم يتركنا هملًا"، هذه ثلاثة أمور:

الأولى: أن الله تعالى خلقنا، والدليل على أن الله خلقنا هو السمع والعقل، أما السمع فأياته كثيرة كقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^{١٨}، وقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} ^{١٩}، أما العقل فقد دل عليه قول الله تعالى في سورة الطور: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} ^{٢٠}.

والثاني: أن الله رزقنا، والدليل على أن الله تعالى رزقنا قول الله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} ^{٢١}، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} ^{٢٢}، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ^{٢٣} إلى غير ذلك من الآيات.

والرزق نوعان:

- ١- خاص: وهو الرزق الحلال للمؤمنين. قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ^{٢٤}
- ٢- عام: وهو ما به قوام سواء كان حلالاً أو حراماً، وسواء كان المرزوق مسلماً أو كافراً، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} ^{٢٥}

والثالث: أن الله لم يتركنا هملًا.

^{١٨} سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

^{١٩} سورة الزمر، الآية: ٦٢.

^{٢٠} سورة الطور، الآية: ٣٥.

^{٢١} سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

^{٢٢} سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

^{٢٣} سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

^{٢٤} سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

^{٢٥} سورة هود، الآية: ٦.

قوله: "بَلْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ". هذا دليل على أن الله تعالى لم يتركنا هملًا.

وهذا دل عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة، قال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ^{٢٦}، وفي الجانب الآخر: {وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا} ^{٢٧}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" ^{٢٨}

٢ – توحيد الألوهية

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^{٢٩}.

قوله: "الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ" هذه المسألة الثانية هو في توحيد الألوهية.

^{٢٦} سورة النساء، الآية: ١٣.

^{٢٧} سورة النساء، الآية: ١٤.

^{٢٨} خرجه البخاري

^{٢٩} سورة الجن، الآية: ١٨.

قوله: "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}"
المساجد جمع مسجد، وهو كل موضع بني للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى.

٣ – الولاء والبراء

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ} ٣٠.

قول المصنف رحمه الله: "الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ
لَهُ مُوَالَاةٌ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ." هذه المسألة الثالثة وموضوعها الولاء
والبراء، والمعنى: أن من أطاع الرسول فيما أمر، واجتنب ما عنه نهى وزجر،
ووحد الله سبحانه، فهذه هي العقيدة الإسلامية، ومن أصول هذه العقيدة:
أن يوالي أهلها، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم.

٣٠ سورة المجادلة الآية: ٢٢.

والموالة معناها: المصادقة والموادة والمحبة، وهي تشعر بالقرب والدنو من الشيء.

وقوله: "ولو كان أقرب قريب"، أي: الولد والوالد، ثم يأتي بعد هذا الإخوان ثم بعد هذا تأتي بقية القرابة. لكن في باب الموالة، وفي باب المعادة لا قيمة للنسب، فأخوك في العقيدة هو أخوك الحقيقي، وعدوك الحقيقي هو عدوك في العقيدة.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ
اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ
وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ}، ومعنى يعبدون يوحدوني.

معنى أرشدك، أي: ذلك وهداك إلى الرشد، والرشد: هو الاستقامة على طريق الحق وهو ضد الغي. والطاعة: هي موافقة أمر الشرع بفعل المأمور واجتناب المحظور.

والحنيفية: هي ملة إبراهيم، وأصل الحنيفية مأخوذ من الحنف، والحنف معناه: الميل، فالحنيف: هو المائل عن الشرك قصداً وإخلاصاً إلى التوحيد.

أما الملة: فهي بمعنى الدين، وهي اسم لكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على السنة أنبيائه.

وأصل العبادة: التذلل والخضوع، وأما معناها الذي يبين متعلقاتها، فهو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه القيم "العبودية": "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".^{٣١}

وقوله: "أن تعبد الله مخلصاً له الدين". الإخلاص: هو أن يقصد العبد بعمله رضا ربه وثوابه.

قوله: "بذلك" اسم إشارة يعود إلى إخلاص العبادة "أمر الله جميع الناس" بدليل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.^{٣٢}

قوله: "وَخَلَقَهُمْ لَهَا أَي: خلقهم لعبادته.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} .

قوله: "وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ" التوحيد معناه في اللغة: من وحد يوحد توحيداً، أي: جعله واحداً لا ثاني له، ومعنى "إفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ"، أي: قولاً وقصداً وفعلاً.

^{٣١} "العبودية": ص ٣٨.
^{٣٢} سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

والمراد بالعبادة هنا في كلام المصنف: العبادة الشرعية، وهي الخضوع لأمر الله الشرعي، أما العبادة الكونية فهي الخضوع لأمر الكوني، والدليل على أن العبادة تكون كونية قول الله تعالى: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} ^{٣٣}

قوله: "وأعظم ما نهى عنه الشرك" الشرك في الأصل بمعنى: النصيب، فإذا أشرك مع الله غيره، أي: جعل لغيره نصيباً، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: "أتدري ما حق الله على عباده؟" قال: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً..." ^{٣٤}

وقوله: "وهو دعوة غيره معه" هذا تعريف الشرك، و الشرك الأكبر أربعة أنواع:

١- شرك الدعاء: وهو أن يضرع إلى غير الله تعالى من نبي أو ملك أو ولي بقربة من القرب - صلاة أو استغاثة أو استعانة - أو يدعو ميتاً أو غائباً أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله تعالى. والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} ^{٣٥}

٢- شرك النية والإرادة والقصد: بأن يأتي بأصل العبادة رياء أو لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها. والدليل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ^{٣٦}

^{٣٣} سورة مريم، الآية: ٩٣.
^{٣٤} أخرجه البخاري: "رقم ٥٩٨٦"، ومسلم: "رقم ٣٠/٤٨".
^{٣٥} سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
^{٣٦} سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.

٣- شرك الطاعة: وهو أن يتخذ له مشرعاً سوى الله تعالى، أو يتخذ شريكاً لله تعالى في التشريع، فيرضى بحكمه، ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقرباً وقضاءً وفصلاً في الخصومات. والدليل قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ^{٣٧}

٤- شرك المحبة: وهو اتخاذ الأنداد من الخلق يحيم كحب الله تعالى؛ فيقدم طاعتهم على طاعته ويلهج بذكرهم ودعائهم. والدليل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} ^{٣٨}

قال ابن قيم رحمه الله: "وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله. ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله. وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحبه الله. ولا يستقيم محبة ما يحبه الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله. وهي المحبة الشركية. ^{٣٩}

قوله: "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} ^{٤٠}" هذه الآية جمعت بين أمرين: الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، مما يدل على أن العبادة لا تتم إلا باجتناّب الشرك قليله وكثيره.

^{٣٧} سورة التوبة، الآية: ٣١.

^{٣٨} سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

^{٣٩} "الجواب الكافي": ص ١٦٤.

الأصول الثلاثة

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ – معرفة العبد ربه

فَإِنْ قِيلَ لَكَ مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُود سِوَاهُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

قوله: "فإن قيل لك من ربك؟" هذا هو الأصل الأول. والجواب "فقل: ربي الله الذي رباني" وأصل الرب في اللغة بمعنى: المربي.

قوله: "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ^{٤١}" والحمد: هو الاعتراف للمحمود بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه.

وقوله: "رب العالمين" : خالقهم ومدبر شؤونهم المتصرف بأحوالهم وأرزاقهم، قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} ^{٤٢}

وقوله: "وكل ما سوى الله عالم" فيقال: عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات، وسمي العالم عالماً؛ لأنه علامة على خالقه وموجده ومالكه.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بآياته ومخلوقاته، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ^{٤٣}. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ^{٤٤}.

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي

^{٤١} سورة الفاتحة، الآية: ١.

^{٤٢} سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

^{٤٣} سورة فصلت، الآية: ٣٧.

^{٤٤} سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قوله: "فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟" هذا السؤال الثاني بعد السؤال الأول: من ربك؟ أي: بم استدلت على معرفتك ربك؟ "فقل: بآياته ومخلوقاته".

والآية في اللغة لها معان كثيرة، منها: البرهان والدليل. وآيات الله نوعان:

- ١- آيات شرعية، ويراد بها: الوحي الذي جاءت به الرسل فهو آية من آيات الله، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}٤٥
- ٢- آيات كونية: والآيات الكونية هي المخلوقات، مثل: السماوات والأرض والإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، مِثْلُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاسْتِعَانَةُ، وَالْاسْتِعَاذَةُ، وَالْاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ

٤٥ سورة الحديد، الآية: ٩.

ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلَّهِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ^{٤٦} ، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} ^{٤٧} .

قوله: "في الحديث: "الدعاء مخ العبادة".

وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} ^{٤٨} .

فالدعاء في القرآن الكريم يتناول معنيين:

الأول: دعاء العبادة هو دعاء الله امثالاً لأمره فإنه سبحانه أمر عباده بالدعاء.

والثاني: دعاء المسألة وهو دعاؤه سبحانه وتعالى بجلب المنفعة ودفع المضرة.

وقوله تعالى: {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} ، يعني: حساب هذا الذي دعا مع الله غيره عند ربه. وهو حساب لا فلاح معه لقوله تعالى: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} ، ونفي الفلاح يدل على هلاكه وأنه من أهل النار.

^{٤٦} سورة الجن، الآية: ١٨

^{٤٧} سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

^{٤٨} سورة غافر، الآية: ٦٠

أما الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله "الدعاء مخ العبادة" فمخ الشيء لبه وخلاصته وما يقوم به ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلالته على الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه. وهذا الحديث يدل على منزلة الدعاء من بين أنواع العبادة وهو حديث ضعيف^٩ لكن معناه صحيح.

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}^{١٠}

الخوف هو انفعال يحصل بتوقع ما فيه ضرر أو هلاك، والخوف أنواع:

الأول: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو أو سبع أو حية فهذا ليس بعبادة، ولا ينافي الإيمان؛ لأنه قد يوجد في المؤمن كما قال تعالى عن موسى عليه السلام {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ}^{١١} هذا الخوف لا يلام عليه الإنسان إذا انعقدت أسبابه أما إذا كان وهمياً أوله سبب ضعيف فهو مذموم لأن صاحبه جبان.

^٩ أخرجه الترمذي: "٤٢٥/٥" عن أنس رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب من هذا لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. اهـ.
قال في "التقريب": "خط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما وله في مسلم بعض شيء مقرون."
وذكره الحافظ في "طبقات المدلسين"، وقال ابن حبان في "المجروحين": "كان صالحاً ولكنه كان يدلّس عن الضعفاء. اهـ.
وفيه عنقة الوليد بن مسلم وهو قبيح التدليس.
والحديث ضعفه المنذري في "الترغيب": "٤٨٢/٢" حيث صدره بـ"روي" كما هو اصطلاحه كما في المقدمة. وانظر: "النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد": "ص٨٣".
^{١٠} سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
^{١١} سورة القصص، الآية: ١٨.

النوع الثاني: خوف "السر"، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو لي من الأولياء بعيداً عنه أن يصيب بمكروه وهذا الخوف هو الواقع بين عباد القبور والمتعلقين بالأولياء.

النوع الثالث: أن يترك الإنسان ما يجب خوفاً من الناس كأن يترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوفاً من الناس فهذا خوف محرم ومذموم.

النوع الرابع: خوف تعبد وتعلق هو أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فيدعوه الخوف لطاعته، وهذا النوع هو خوف التعبد والتأله الذي يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية وهذا خاص بالله تعالى. وتعلقه به من أعظم واجبات الدين ومقتضيات الإيمان، وتعلقه بغير الله تعالى من الشرك الأكبر.

ودليل الرجاء قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ^{٥٢}

أصل الرجاء هو الطمع أو انتظار الشيء المحبوب، والرجاء يتضمن التذلل والخضوع.

والرجاء نوعان:

^{٥٢} سورة الكهف، الآية: ١١٠.

١- رجاء محمود: وهو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرم

٢- رجاء مذموم: وهو رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.
والتمني يكون مع الكسل.

و اللقاء يوم القيامة نوعان:

١- نوع خاص: وهذا للمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم من الله سبحانه وتعالى.

٢- لقاء عام: لجميع الناس، وقد دل على اللقاء العام قوله تعالى في سورة الانشقاق {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}

أصل التوكل: الاعتماد. وحقيقة التوكل: أن يعتمد العبد على الله سبحانه وتعالى اعتماداً صادقاً في مصالح دينه ودنياه مع فعل الأسباب المأذون فيها.

والتوكل على الله تعالى نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما.

وثانئهما: توكل عليه في تحصيل مرضاته.

وأما التوكل على غير الله تعالى فأنواع:

النوع الأول: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شرك أكبر

النوع الثاني: أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو مسؤول فيما أقدره الله عليه من زرق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد.

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} ^{٥٣}

هذه ثلاثة أنواع من العبادة دلت عليها آية واحدة.

الأول الرهبة. والرهبة بمعنى الخوف المثمر للهرب من المخوف. فهي خوف مقرون بعمل.

والثاني: الرغبة. ومعناها السؤال والتضرع والابتهاال مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

^{٥٣} سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

والثالث: الخشوع وهو التذلل والتطامن، وهو بمعنى الخضوع إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن، والخشوع في القلب أو البصر أو الصوت.

ودليل الخشية قوله تعالى: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} ^{٥٤}

تقدم أن الخشية بمعنى الخوف، ولكن الخشية أخص؛ لأنها مبنية على علم بعظمة من يخشاه.

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} ^{٥٥}.

الإنابة بمعنى التوبة، ولكن قال العلماء: إنها أعلى من التوبة؛ لأن التوبة إقلاع وندم وعزم على ألا يعود، أما الإنابة ففيها المعاني الثلاثة، وتزيد معنى آخر وهو الإقبال على الله تعالى بالعبادات.

قوله: "ودليل الاستعانة وقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} " الاستعانة طلب العون.

والاستعانة أنواع:

^{٥٤} سورة المائدة، الآية: ٣.
^{٥٥} سورة الزمر، الآية: ٥٤.

النوع الأول: الاستعانة بالله، وهي الاستعانة المتضمنة كمال الذل من العبد لربه مع الثقة به والاعتماد عليه، وهذه لا تكون إلا لله فهي تتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: الخضوع والتذلل لله تعالى.

الثاني: الثقة بالله جل وعلا.

الثالث: الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

وهذا تحقيق معنى قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله تعالى. وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة.

النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه. فهذه إن كانت على بر وخير فهي جائزة والمعين مثاب على لأنه إحسان، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} ^{٥٦}، وإن كانت على إثم فهي حرام، قال تعالى: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

النوع الثالث: الاستعانة بالأموات أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرُون عليه فهذا شرك.

النوع الرابع: الاستعانة بأعمال وأحوال محبوبة شرعاً، فهذا النوع مشروع بدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ^{٥٧}

^{٥٦} سورة المائدة، الآية: ٢.
^{٥٧} سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

قوله: وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله" هذا جزء من حديث ابن عباس، ، أوله: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك".^{٥٨}

وَدَلِيلُ الاستِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}^{٥٩} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}^{٦٠}.

الاستعاذة: هي الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يعيدك ويلجئك. والاستعاذة بالله تعالى هي التي تتضمن كمال الافتقار إليه سبحانه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شر.

أما الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين فهذا شرك.

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}^{٦١}

الاستغاثة أن تطلب الغوث ممن يستطيع أن ينقذك من ضيق أو شدة.

^{٥٨} "جامع الترمذي": "٢١٩/٧-تحفة". وأخرجه أحمد: "٢٩٣/١" ... وللحافظ ابن رجب شرح وافٍ لهذا الحديث مطبوع في جزء لطيف.

^{٥٩} سورة الناس، الآية: ١.

^{٦٠} سورة الفلق: الآية: ١.

^{٦١} سورة الأنفال، الآية: ٩.

والفرق بين الاستغاثَة والاستعاذَة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك، والاستغاثَة تطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء. والاستغاثَة كالاستعاذَة تتضمن كمال الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى واعتقاد كفايته.

ودليل الذبح قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} ^{٦٢} "وَمِنَ السُّنَّةِ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ." ^{٦٣}

المراد بالذبح هنا: ذبح القربان والضحايا والهدايا والذبح يقع على وجوه:
النوع الأول: يقع عبادة لله يقصد بها الذابح تعظيم المذبح له، والتقرب إليه، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى.
النوع الثاني: وهو الذبح إكراماً للضيف أو لوليمة عرس.
النوع الثالث: أن يكون الذبح للتمتع بالأكل من المذبح أو الاتجار به.
واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله. وقوله: "لَعَنَ اللَّهُ" هذا يحتمل أنه خبر، ويحتمل أنه إنشاء.

^{٦٢} سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
^{٦٣} أخرجه مسلم: "رقم ١٩٧٨".

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} ^{٦٤}

النذر: أن يلزم الإنسان نفسه شيئاً غير لازم بأصل بالشرع، فيلزم نفسه إما بتعليقة على شيء أو يكون ابتداءً. والجمهور على أنه مكروه. فالنذر عبادة لا يجوز للإنسان أن ينذر لغير الله تعالى.

٢ – معرفة دين الإسلام

الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة, وهو الاستِسْلَامُ لله بالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوصُ مِنَ الشَّرْكِ. وهو ثلاث مراتب: "الإسلام" و"الإيمان" و"الإحسان". وكل مرتبة لها أركان. فأركان الإسلام: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

قوله: "الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة", فالدين في اللغة: يطلق على معان عدة منها:

^{٦٤}سورة الإنسان، الآية: ٠٧.

١- الطاعة والانقياد.

٢- ما يتدين به الإنسان.

والمعنى الثاني يدخل في مفهومه المعنى الأول.

والدين الإسلامي: هو الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، جعله خاتمة الأديان، وأكمل له عبادته، وأتم به عليهم النعمة. معرفة الدين لابد أن تكون مقرونة بالدليل، ليكون على بصيرة من أمر دينه؛ لأن ذلك من أسباب الثبات عند السؤال في القبر بتوفيق الله تعالى.

ودين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: الاستسلام لله بالتوحيد.

الأساس الثاني: الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الأساس الثالث: البراءة من الشرك ومن أهل الشرك.

والمراتب: جمع مرتبة، والمرتبة والرتبة: هي المنزلة، والمكانة والأركان جمع ركن، وهو جانب الشيء الأقوى الذي لا يقوم ولا يتم إلا به. ودليل هذه الأركان الخمسة: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ" ^{٦٥}.

^{٦٥} أخرجه البخاري: "٤٩/١-فتح"، ومسلم: "رقم ١٦".

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ} ^{٦٦} . ومعناها: لا معبود حق إلا الله وحده. "لا اله"
نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. "إِلَّا اللَّهُ" مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ
وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي
مُلْكِهِ. وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ
سَمِيدٌ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} .

ومعنى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ، أي: حكم وأعلم وأخبر، والمراد بالعلم
هنا: العلم الشرعي الذي هو نور القلوب وحياتها. والمراد بأولي العلم: الأنبياء
والعلماء.

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} ^{٦٧} .

^{٦٦} سورة آل عمران، الآية ١٨.
^{٦٧} سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ}.^{٦٨}

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.^{٦٩}

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.^{٧٠}

الْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الإِيمَانُ. وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ

^{٦٨}سورة البينة، الآية: ٥.

^{٦٩}سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

^{٧٠}سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

الإيمان. وأركانه ستة: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وبالقدر خيره وشره.

وقوله: "فَاعْلَامَا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" فهي كلمة الإخلاص، وكلمة الإسلام،
وهي كلمة التقوى، وهي أساس الملة.

قوله: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ" فهذا الركن الأول. والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، وقد تقدم
ذلك.

والرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته، ومعناه: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه
في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على ما
يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. قال
تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ^{٧١}.

والملائكة: عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، عابدون لله تعالى، لا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. ولا يعلم عددهم إلا الله
سبحانه وتعالى، قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} ^{٧٢}.

والإيمان بالملائكة لا يتم إلا إذا تحقق فيه أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم وأنهم مخلوقون عابدون لله قائمون بما أمروا به.

^{٧١} سورة الشورى، الآية: ١١.

^{٧٢} سورة المدثر، الآية: ٣١.

والثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه باسمه ومن لم يعلم اسمه فالإيمان به إجمالاً.

والثالث: نؤمن بما علمنا من صفاتهم وهيئاتهم.

والمراد بالكتب هي: الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله هداية للبشرية ورحمة بهم ليصلوا إلى سعادة الدارين.

والإيمان بالكتب لا يتم إلا بأربعة أمور:

أولاً: الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً.

والثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزيور، وأما ما لا نعرفه منها فنؤمن به إجمالاً.

والثالث: التصديق بما صح من أخبارها.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ.

والكتب السابقة كلها نسخت بالقرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه.

والرسل جمع رسول، وهو: من بعثه الله إلى قوم وأنزل عليه كتاباً، أو لم ينزل عليه كتاباً لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله. وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو: من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتاباً، أو يوحى إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلى ذلك فكل رسول نبي وليس كل العكس، وقيل هما مترادفان، والأول أصح^٢.

بدليل قول الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} ^{٧٣}.

والإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله تعالى، وأنهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، وأن هناك رسلاً نؤمن بهم إجمالاً ولا نعرف أسمائهم.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وسمي يوم القيامة باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. والإيمان باليوم الآخر لا يتم إلا بثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث.

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء.

الثالث: الإيمان بالجنة والنار.

والمراد بالقدر: تقدير الله تعالى لما سيكون حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته سبحانه وتعالى. والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بعلم الله تعالى وأنه عالم بما كان وما يكون وكيف يكون.

^{٧٣} سورة المائدة، الآية: ٤٤.

الثاني: الإيمان بالكتابة وأن الله كتب ما علم أنه كائن إلى يوم القيامة.

والثالث: الإيمان بأنه لا يحصل في هذا الكون إلا ما شاء الله.

والرابع: الإيمان بأن الله جل وعلا خلق الخلق وأعمالهم وأفعالهم.

قال: "وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} ^{٧٤}، ودليل القدر قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} ^{٧٥}."

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" ^{٧٦}

المرتبة الثالثة:

الإحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

^{٧٤} سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

^{٧٥} سورة القمر، الآية: ٤٩.

^{٧٦} أخرجه مسلم: "رقم ٢٦٣٥".

الإحسان في الأصل نوعان: إحسان في عبادة الخالق وهو المراد هنا، وإحسان في حقوق الخلق، وهو نوعان: إحسان واجب، وإحسان مستحب.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} ^{٧٧}. وقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ^{٧٨}. وقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} ^{٧٩}.

والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بينما نحن جلوس عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ،

^{٧٧} سورة النحل، الآية: ١٢٨.

^{٧٨} سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧-٢٢٠.

^{٧٩} سورة يونس، الآية: ٦١.

وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"،
 قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ
 الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ"، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ:
 "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ:
 أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ
 السَّائِلِ"، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا،
 وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي
 الْبُنْيَانِ"، قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنْ
 السَّائِلُ؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ
 يَعْلَمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ".

٣ - معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

اسمه ونسبه

الأصلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ
 مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ
 بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وله من العمر ثلاث وستون، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث عشرون نبياً رسولاً، نبى باقراً. وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التَّوْحِيدِ. وَالِدِّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} , وَمَعْنَى {قُمْ فَأَنْذِرْ} يُنْذِرُ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} عَظَمُهُ بِالتَّوْحِيدِ {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} أَيُّ: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِكِ، {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجَرَهَا تَرْكَهَا وَأَهْلَهَا والبراءة منها وأهلها. وأخذ على هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ،

والنبي صلى الله عليه وسلم له عدة أسماء، و قريش: هو النضر بن كنانة.

قوله: "وَقُرَيْشٌ مِّنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِّنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ"، المراد بالعرب -هنا:- العرب المستعربة. فإن العرب قسمان:

- ١- عرب عاربة: وهم أصل العرب الباقية جميعاً ويسمون "القحطانيين"، وينتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد سكنوا اليمن ثم تفرقوا في بقية الجزيرة.

٢- عرب مستعربة: ويسمون "العدنانيين"، وقد نشأوا في مكة ومنها تفرقوا في جهات كثيرة من الحجاز وتهامة، وينتهي نسبهم إلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

وقول المصنف: "نبي باقراً وأرسل بالمدثر" دليل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول.

تعريف الهجرة

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بِلَدِ الشَّرِكِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا } . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} . قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ. وَالِدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَنْقَطِعُ

الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ
الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا".

قوله: "أمر بالهجرة إلى المدينة"، أي: بمفارقة المشركين وأوطانهم ليتمكن
صلى الله عليه وسلم من إظهاره دينه. والهجرة في اللغة معناها: الترك
والخروج من بلد أو أرض إلى أخرى. وشرعاً: كما عرفها المصنف رحمه الله.

قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المساكن بحسب سكانها فهجرة
الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته من
الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة. وهذا أمر باق إلى يوم القيامة"^{٨٠}

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "لا هجرة بعد
الفتح"^{٨١}، فالمقصود به لا هجرة من مكة بعد فتحها؛ لأنها صارت دار
إسلام.

الهجرة من بلد الكفر ثلاثة أضرب والناس ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: تجب عليه الهجرة، وهو القادر عليها مع عدم إمكان إظهار
دينه.

الصنف الثاني: من لا هجرة عليه وهو العاجز عن الهجرة إما لمرض أو إكراه
على الإقامة فلم يستطع الخروج أو ضعف من النساء والولدان وشبههم.

^{٨٠} "مجموع الفتاوى": "٢٨٤/١٨".

^{٨١} أخرجه البخاري: "١٨٩/٦"، ومسلم: "رقم ١٨٦٤".

الصنف الثالث: من تستحب له الهجرة ولا تجب عليه كما تجب على الصنف الأول، وهذا في حق من يقدر على الهجرة لكنه متمكن من إظهار دينه.^{٨٢}

لا يجوز السفر لبلاد الكفر إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عنده علم يمنعه مما يرد عليه من الشهوات التي قد تعرض له في تلك البلاد.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه مما يرد عليه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه كما أمر الله.

أما السفر لبلاد الكفر لمجرد السياحة فالقول بالمنع أظهر.

فرض بقية شرائع الإسلام

فلما استقر بالمدينة أمر بقية شرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

قوله: "والصوم، والحج" فرض الصوم في السنة الثانية من الهجرة.^{٨٣}

والحج فرض على أرجح الأقوال في السنة التاسعة من الهجرة.^{٨٤}

^{٨٢} انظر: "المغني": ١٥١/١٣، و"فتح الباري": ١٩٠/٦.
^{٨٣} انظر: "البداية والنهاية": ٢٥٤/٣، و"المجموع شرح المذهب": ٢٥٠/٦.

والجهاد فرض بعد الهجرة. وقبلها لم يأذن الله للمسلمين بالجهاد في مكة ولا فرضه عليهم؛ لأنهم عاجزون ضعفاء ليس لهم شوكة يتمكنون بها من القتال.

الأذان شرع في المدينة في السنة الأولى من الهجرة على القول الراجح، وقد جزم ابن المنذر رحمه الله بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي في مكة بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة.^{٨٥}

وفاته صلى الله عليه وسلم

أخذ على هذا عشر سنين. وتوفي، صلاة الله وسلامه عليه،
ودينه باقٍ، وهذا دينه: لا خير إلا دَلَّ الأُمَّة عليه، ولا شر إلا
حذرَها منه. والخير الذي دلَّها عليه التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ
اللهُ وَيَرْضَاهُ، والشر الذي حذرَها عنه الشرك وجميع ما
يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض على
جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ، الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}^{٨٦}. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ
الدِّينَ. وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً}^{٨٧}. وَالِدَلِيلُ
عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ

^{٨٤} انظر: "زاد المعاد": ١٠١/٢.

^{٨٥} انظر: "زاد المعاد": ٦٩/٣، "فتح الباري": ٧٨/٢، ٧٩.

^{٨٦} سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

^{٨٧} سورة المائدة، الآية: ٣.

مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ^{٨٨} .
 وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ
 وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}^{٨٩} . وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
 {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
 إِخْرَاجًا}^{٩٠} . وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.
 وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحُسْنَى}^{٩١} . وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ
 لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}^{٩٢} . وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ
 الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}^{٩٣}
 . وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ
 بَعْدِهِ}^{٩٤} . وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ
 يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

^{٨٨} سورة الزمر، الآية: ٣٠، ٣١.

^{٨٩} سورة طه، الآية: ٥٥.

^{٩٠} سورة نوح، الآية: ١٧.

^{٩١} سورة النجم، الآية: ٣١.

^{٩٢} سورة التغابن، الآية: ٧.

^{٩٣} سورة النساء، الآية: ١٦٥.

^{٩٤} سورة النساء، الآية: ١٦٣.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ^{٩٥} . وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

قوله: "ودينه باق"، أي: لأنه دين عام إلى يوم القيامة للبشرية كلها. بينما الأديان السابقة كانت مؤقتة بأوقات معينة انتهت بنهايتها.

وقد ورد على أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم" ^{٩٦}

والطاغوت في الأصل مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، ومعنى كل ما تجاوز به حده، أي: تعدى به العبد قدره الذي ينبغي له في الشرع فهو طاغوت.

^{٩٥} سورة النحل، الآية: ٣٦.
^{٩٦} أخرجه الطبراني في "الكبير": "١٥٥/٢"، رقم ١٦٤٧، وصححه الألباني في "الصحيحة": "رقم ١٨٠٣". وانظر: العلل للدارقطني "٢٩٠/٦".

رؤوس الطواغيت

وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. والدليل قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} . وهذا معنى لا اله إلا الله. وفي الحديث: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

قوله: "ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله؛" لأنه الداعي إلى عبادة غير الله تعالى فهو أول الطواغيت.

قوله: "ومن عبد وهو راضٍ" هذا الثاني، والمعنى: من علم أن الناس يعبدونه ويتوسلون به ويصرفون له شيئاً من أنواع العبادة فرضي بهذه العبادة فهو طاغوت

قوله: "ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه" وهو الذي يدعو الناس إلى عبادته وتعظيمه، وهذا ينطبق على بعض مشايخ الضلال من الصوفية وغيرهم الذين يقرون بالغلو ويفرحون بتعظيم الناس لهم.

قوله: "ومن ادعى شيئاً من علم الغيب" وذلك كالمنجمين والعرافين والرمالين الذين يدعون شيئاً من علم الغيب.

وقوله: "ومن حكم بغير ما أنزل الله" هذا الخامس؛ لأن الله جل وعلا يقول: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} ^{٩٧}، وفي الآية الأخرى: {هُمُ الظَّالِمُونَ} ^{٩٨}، وفي الآية الثالثة: {هُمُ الْفَاسِقُونَ} ^{٩٩}، وهل هذه أوصاف متعددة لموصوف واحد؟ أو أنها لموصوفين مختلفين؟ من أهل العلم من قال: إنها أوصاف لموصوف واحد، يعني: أن الحاكم بغير ما أنزل الله باعتبار أنه جحد للشرعية يكون كفراً، وباعتبار أنه مجاوزة لحق الإنسان واعتداء على حق الله تعالى في التشريع يكون ظلماً؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه. ومن حيث إنه خروج عن شرع الله تعالى يكون فسقاً؛ لأن الفسق معناه: الخروج. ولا مانع أن الأوصاف هذه تنطبق على ذات واحدة.

وصفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

^{٩٧} سورة المائدة، الآية: ٤٤.

^{٩٨} سورة المائدة، الآية: ٤٥.

^{٩٩} سورة المائدة، الآية: ٤٧.

